المشافي في غزة واسرائيل آخذة في الامتلاء بالجرحى.. اعاقات والم.. معاناة كبيرة

الأولاد والاطفال يقتلون في المناطق المحتلة ولا يصرخ أحد.. والجيش الاسرائيلي ماض في سبيله

■ لم تعد الكلاب تنبح والقافلة تسير. المشافي في غزة واسرائيل آخذة في الامتلاء بالجرحى، وفيهم عدد اكبر من الاولاد والاطفال، ولا يصرخ أحد وجيش الدفاع ماض في سبيله. في الاسبوع الماضي روينا ههنا قصة الطفل خالد وهبة، الذي قتلت امه الحامل واخوها بعملية اغتيال فاشلة اخرى في غزة، واستلقى مشلولا يتنفس تنفسا صناعيا في قسم العلاج المكثف للاولاد في مشفى «دانا» في تل أبيب. مات خالد هذا الاسبوع، وبجانبه عمه محمد، الذي كان في الماضي عامل صيانة في معهد الفنون في جامعة تل أبيب. في الليلة بين الاحد والاثنين لفظ خالد أنفاسه، وكان عمره سنة ونصفا.

محمد المغربي عمره سنة ونصف سنة أيضا. اصيب بصاروخ آخر، في عملية اغتيال اخرى في مكان آخر في غزة، محمد أعمى. دخلت شظية من الصاروخ دماغه واصابت مركز البصر فيه. في هذا الاسبوع استيقظ بعد ثلاثة أسابيع من فقدان الوعي. ما يزال من غير الواضح هل هو مشلول أيضا. جرحت امه، وقتل عمه وابن عمه في عملية الاغتيال الفاشلة. تجلس جدته فقط بجانبه في مشفى هداسا عين كارم، في الوحدة الوسطى للعلاج المكثف للاولاد. الجدة تجلس منذ شهر على كرسي، لا تترك حفيدها.

غير بعيد من هناك، في مشفى «ايلين» للاولاد، أبلغ حمدي أمن هذا الاسبوع بأن ابنته مريا، ابنة الثالثة والنصف، ستبقى مشلولة وتتنفس الى الابد تنفسا صناعيا. فقدت مريا امها، واخاها، وعمها وجدتها بسبب صاروخ. لا يترك حمدي أيضا سريرها منذ أسابيع طويلة. من آن لاخر يضع هاتفه المحمول على اذن مريا، ويسمعها صوت عمتها وابن عمها، ويكذب عليها بأن امها واخاها الميتين على الخط. في الاسبوع الماضي ابتدأت مريا ترسم بواسطة فمها. تلقى حمدي ايضا حاسوبا خاصا من المشفى، لكي تتعلم مريا استعماله بوجنتها وهي من الاشياء القليلة التي ما زالت تستجيب لها. جسم مريا الصغير كله، من العنق الى الاسفل، مشلول وهي موصولة بجهاز التنفس الصناعي. عادت مريا لتتحدث، ويمسح حمدي بطلاء أحمر اظفارها الصغيرة التي لا تتحرك. يبدو أن الامل الذي كان عند حمدي في الاسبوع الماضي، وهو أن مريا قد تستطيع مرة ان تقف على رجليها قد تلاشى ويلحظ الامر عليه جدا. انه في السابعة والعشرين، أرمل، يتيم وأب ثاكل بسبب الصاروخ، مع ابنة ستظل مشلولة الى الابد. في يوم الاحد عبر وجهها الجميل عن المعاناة والشقاء.

لم يأت أحد لزيارتهم، لا الجدة وحفيدتها في هداسا، ولا الاب وابنته في ايلين. وهم ممنوعون من الخروج من ابواب المشفى. وهكذا يجلسون ليل نهار، اسابيع، بجانب اعزائهم الصغار، من غير اي دعم عائلي، ومن غير دعم مالي تقريبا، وحيدين في كارثتهم، يعيشون خوفا دائما من أن يعاد ابناؤهم الى غزة. لا يوجد في بيوتهم في غزة كهرباء وماء، ولا يعدو الرعب أن يزداد. انها حرب لا تشبع.

في هذا الاسبوع أجلسوا محمد المغربي لاول مرة في كرسي. كان محاطا بدمى من الفرو رخيصة اشترتها له جدته في رام الله، والحفاظ فقط يغطي جسمه، ويرسل الصغير نظرة منغلقة الى ما يحدث. لا يرى محمد الدمى. عيناه تهتزان هنا وهناك، وأهدابه مرفوعة الى الاعلى، كأنها تبحث عن شيء ما. انه اعمى. طفل أعمى. انه لا يحرك رجله اليسرى، ورجله اليمنى جرحتها شظية، وما زال أطباؤه لا يعرفون تقويم مدى اصابته. هل سيكون أعمى الى الابد؟ وهل سيكون مشلولا؟ دخلت شظية الصاروخ جمجمته، واجتازت الغشاء الامامي لدماغه وخرجت من الجانب الاخر من جمجمته، وقد زرعت فيها الدمار والضرر. كانت تلك عملية الاغتيال الفاشلة الموجهة الى سيارة صواريخ غراد، التي سافرت في شارع غزة الرئيس، الصاروخ الثاني الذي اطلقه سلاح الجو قتل سبعة من السابلة في الشارع المزدحم وجرح محمدا جرحا بليغا.

منذ العملية، التي حدثت في الثالث عشر من حزيران (يونيو)، تجلس جدة محمد كما قيل آنفا، سامية المغربي، ابنة الثامنة والخمسين بجانب حفيدها في هداسا عين كارم. محمد هو ابن نسرين ابنتها وأكرم ختنها. وهما زوجان شابان لهما صغيران، يسكنان في بيت من طبقة واحدة في شارع صلاح الدين في غزة، وهو أحد الشوارع الرئيسة في المدينة.

سامية امرأة بسامة، لكن الشهر الذي قضته وحيدة بجانب حفيدها في المشفى في المدينة الغربية، في البلاد الغربية، يجبي منها ثمنه، برغم العلاقة الممتازة التي تحظى بها من أطباء القسم ومن سائر العمال والضيوف. فهذا يأتيها بالطعام، وذاك يسألها عن صحتها. من آن لاخر يحل البكاء محل الابتسام: في هذا الاسبوع سألت هل يمكنها الحصول على دمية تصدر اصواتا من أجل حفيدها الاعمى.

دق الهاتف في بيتها في الصباح. «اصيبت ابنتك وحفيدك»، ابلغت. والى أن اسرعت وأخذت سيارة اجرة ووصلت الى مستشفى الشفاء، كانت قد علمت أن كارثتها أكبر مما قيل لها: فأشرف المغربي، اخو ختنها أكرم، ابنة التاسعة والعشرين وابنه ماهر، ابن الثامنة، قتلا في عملية الاغتيال الفاشلة. وقتل أيضا الفتى هشام، من أصحاب أشرف، وهو في الرابعة عشرة. ورأت الجدة سامية ابنتها نسرين وهي جريحة في وجهها، ورجلها وصدرها. كان محمد فاقدا الوعي، وجريحا في رأسه وفي رجله. يقول ابو محمد، أكرم المغربي، الذي لم يفقد في الحادثة بصر ابنه فقط بل فقد أخاه وابن اخيه ايضا، ان اخاه اشرف خرج من البيت باتجاه صالون حلاقته (صالون حلاقة اشرف)، لكنه عاد لانه نسي هاتفه المحمول في البيت. عندما سمعوا الصاروخ الاول من الشارع اسرعوا باتجاه النوافذ ليسدوها، وعندها سقط الصاروخ الثاني.

عندما رأى الاطباء في مستشفى الشفاء وضع الطفل قرروا أنه يجب نقل محمد الى اسرائيل. فقدت الجدة الثانية ابنا وحفيدا، ولا يمكن لابيه الشاب الحصول على رخصة تقريبا، وكانت امه جريحة، ولهذا طرحت مهمة المصاحبة والعلاج على سامية، في ساعة متأخرة من الليل، بعد أن تم الحصول على جميع الرخص، نقلت سيارة اسعاف محمدا وجدته الى هداسا في عين كارم، من طريق حاجز ايرز. منذ ذلك الحين وهي موجودة هنا على الدوام، ما عدا يوما واحدا سمح لها فيه للخروج الى رام الله، لزيارة اختها، التي كانت ممنوعة من لقائها منذ ست سنين. وهناك اشترت ايضا الدمية لمحمد.

تجلس الجدة طوال اليوم بقرب سرير محمد وتقرأ آيات من القرآن. «اقرأ لي ولمحمد»، تقول. انها تنام على الاريكة التي تنفتح بجانبه. تعطيها عاملة اجتماعية خمسين شيكلا في كل اسبوع مجهولة المصدر. وهي أيضا تسمع محمدا في كل يوم امه وأباه بالهاتف، ولا تعرف ما الذي يسمعه وما الذي يفهمه. «نحن نريدك، يا محمد، عد الينا يا محمد، سنأتي اليك بالدمى يا محمد، تحدث الينا يا محمد»، يصرخ ابناء العائلة من غزة. وقد فعلت ذلك أيضا حين كان مغيبا عن الوعي، وتقول ان جسمه قد اهتز عندما سمع صوت امه في الهاتف. «العائلة كلها تحادثه، لكي يشعر بان العائلة معه»، تقول وتبكي بكاء صامتا. وهي تحدثه ايضا لتطمئنه: «بعد قليل سيأتي أبوك، ويشترك لك دمية»، «ستأتي أمك في الحال»، «أنت موجود مع جدتك».

يقول ناطق الجيش الاسرائيلي: «كان هجوم الجيش الاسرائيلي في الثالث عشر من حزيران (يونيو) موجها الى مركب وفيه خلية ارهابية كانت في طريقها لاطلاق صواريخ غراد على بلدات ومنشآت استراتيجية في الجبهة الداخلية لدولة اسرائيل. أنفذ الاطلاق الاول نحو المركب فقط بعد أن لحظ وهو يسير في شارع مفتوح فارغ من المراكب الاخرى او السكان المدنيين. وبعد أن تم ادراك أن الاصابة الاولى لم تفض الى تدمير الوسائل القتالية التي كانت في المركب، اطلق وابل ثان. في الثواني التي طلب فيها الى متخذي القرار أن يحسموا لم يلح، على حسب وسائل مراقبة كلها، اي امكان للتجمع، او امكان اصابة غير مشاركين. في الثواني الاخيرة فقط قبل اصابة الوابل للمركب لحظ تجمع من السكان حوله، في وضع لم يكن اي حرف للصاروخ سيغير مقدار اصابته المتجمعين.

«يبذل الجيش الاسرائيلي جهودا كبيرة من أجل الامتناع عن اصابة غير المشاركين. تلغى هجمات كثيرة، برغم ضرورتها التنفيذية البارزة، حينما يوجد دليل واضح على أنها تعرض السكان الموجودين قرب الهدف للخطر».

الانبوب الذي دس في أنفه يضايقه. يحرك محمد رأسه من جهة الى اخرى، بعدم هدوء. قبل ان يصاب كان يعرف ان يقول «أبي». يقول الدكتور عيدو يتسيف، مدير وحدة العلاج المكثف للاولاد، انه بسبب طاقة الشظية التي اخترقت رأسه من الامام، سببت اضرارا لدماغه، كاضرار رد الفعل، وحروقا لا يمكن تقدير نسبتها حتى الان. ولهذا لا يعلم، بحسب قوله، هل سيظل أعمى.

في القريب سيضطر اطباء هداسا الى أن يقرروا استمرار معالجته. كانوا يودون نقله من اجل اعادة التأهيل في مشفى ايلين، ولكن من الذي سينفق؟ من الذي سينفق على اعالة تأهيل طفل جريح أعمى بسبب اطلاق قواتنا النار؟ من الذي سينفق على اعالة تأهيل طفل جريح وأعمى اذا ما ارسل الى غزة، فان مصيره واحد؟ كتب طال منور من جمعية أطباء من اجل حقوق الانسان قبل اسبوعين الى وزير الدفاع، عمير بيرتس: «أتوجه اليك لاطلب ان تأمر من فورك وبلا تأجيل، الجهات ذات الصلة بان تتحمل مسؤولية كاملة عن العلاج». مع اغلاق هذا العدد وعدت وزارة الدفاع الجمعية بانها ستتحمل مسؤولية علاج محمد.

جدعون ليفي
كاتب رئيسي
(ملحق هآرتس) 2006/7/14

طفل فلسطيني يراقب جنود الاحتلال على مشارف مدينة القدس بعد منع المواطنين من الوصول الى الاقصى لاداء صلاة الجمعة

في بروتوكول لجلسة المجلس الأمني المصغر: يجب قتل كل من هم غير يهود!!!! كما جاء في التوراة.. هيا يا بيرتس لتكن رجلا!

الوضع المتدهور الآن هو ثمرة لسياسة الاعتداءات والاغتيالات الاسرائيلية والعنجهية المتغطرسة لدى قيادتها

■ من الصعب حقا في هذه المرة أن نفهم ما الذي يدور في عقول حكومة اسرائيل. هذا الاستغراب لم يبدأ مع أسر جلعاد شليط. من الممكن أن نبدأه منذ 24 من كانون الثاني (يناير) 2006، يوم ظهور ايهود اولمرت الاول في مؤتمر هرتسليا كقائم بأعمال رئيس الوزراء. تلك المرة التي ـ لشدة السخرية ـ ألقى فيها خطابا عاطفيا هاجم فيه الخطوات أحادية الجانب وأيد فيه الانسحاب على أساس الاتفاق.

منذ الاسبوع الاول لملكوت اولمرت، عاد الجيش الى روتين الاغتيالات المركزة وقتله المستهدف الذي شغف به جدا، ولم يعد قادرا على التخلي عنه. حماس حافظت على وقف اطلاق النار بحرص شديد، ولم يقم باطلاق الصواريخ إلا الجهاد الاسلامي، سواء كانتقام (غير ناجع جدا بحمد الله) على الاغتيالات ضد عناصره، أو في اطار محاولاته لجر الجانبين الى دائرة العنف. واسرائيل ـ الوفية لمبدأ حظر وجود شريك للتفاوض معه ـ واصلت الانغماس في دربها الذي تسير عليه. لم يمر اسبوع تقريبا من دون تصفيات واغتيالات، والى جانبها ـ بعض الأخطاء المرعبة التي توقظ المردة من سباتها. صواريخ القسام تسببت في الجانب الاسرائيلي باصابتين أو ثلاث (طفيفة)، والى عدد من الصدمات النفسية لدى البعض. أما عند الفلسطينيين فقد تراكمت الجثث بالعشرات.

منذ أواخر كانون الثاني (يناير) حتى أواسط آذار (مارس) قتل الجيش الاسرائيلي 13 طفلا وعشرات من المسنين. وخلال ثلاثة ايام في نيسان (ابريل) أضيف 11 مُسنا وطفلان اثنان الى القائمة. في شهر أيار (مايو) وحده قتل الجيش 36 فلسطينيا، وفي شهر حزيران (يونيو) 31 مدنيا سقطوا ضحية لسياسة الاحباط المركز (الاغتيال) ومن بينهم 11 طفلا.

حماس لم تطلق حتى صاروخ قسام واحدا. فقط في 6 تموز (يوليو) أعلن الجيش لاول مرة منذ أكثر من سنة، أن عناصر حماس، بقرار منهم وليس بقرار من الأعلى، قاموا باطلاق الصواريخ.

ما الذي يظنه اولئك الاشخاص الصغار والعنيفون الذين يحكموننا؟ أن يقوموا كل يومين بقصف عائلة بأكملها، نساء ورضعا، كبارا أو صغارا، وأن يقولوا بصورة مصطنعة أن «الطيار لم يرهم وهم يدخلون منطقة الاصابة»، أو أن سلاح الجو لم يطلق القذائف في ذلك اليوم، وأن تنتهي بذلك القضية؟ هل يعتقدون أن الجهاد الذي يبذل كل جهوده للقضاء على أي فرصة للتهدئة يتوقف عن اطلاق صواريخه فجأة وهو يرى أن عدوانيته البدائية تحقق نفس الهدف الذي يرغب في الوصول اليه؟ وأن لا يظهر عندهم فجأة شخص يطلب الانتقام ـ مثل الجمهور الاسرائيلي تماما؟ وأن لا يسارع أحد ما الى استغلال الوضع من اجل تحقيق مصالحه في لبنان؟ هل اعتقدوا حقا أن القوة وحدها ولا شيء سواها والكثير منها هي التي ستحل كل المشاكل وتوفر الرد عليها؟.

اجل، يبدو أن هذا ما دار في ذهنهم بالضبط. والآن، هم ونحن والجيران وأهالي الجنود الأسرى والأسرى انفسهم. كلنا أصبحنا في عمق الدوامة.

الأذكياء ـ هكذا يقولون ـ يعرفون كيف يتجنبون الدخول في الوحل. أما الفطنون ـ هكذا يقولون ـ فيعرفون كيف يتخلصون منه. ولكن ماذا سيكون مصير اولئك الذين يخضعون لحكم ثلة من الكسالى الأغبياء.

مُجرب ومفحوص

كم هو جيد أن هناك حكومة في لبنان. حكومة صغيرة وضعيفة وبائسة، حكومة غير قادرة على القيام بأي شيء ـ ولذلك من المريح جدا اعتبارها «مسؤولة عن الأحداث» وغير قادرة على الرد على الحرب ـ ومن السهل ضربها بالتالي.

الآن سندمر محطات الطاقة اللبنانية والمطارات ونُخرب الجسور ونبث الذعر في العاصمة اللبنانية ـ من يعرف ـ ربما نغتال أحدا ما في شارعها الرئيس ولا ننتبه لوجود عائلة في دائرة الاستهداف على شاشة الطيار. كم هو لطيف ومنعش أن يستعيد الواحد ذكريات الماضي التليد.

وماذا في الاسبوع القادم؟

في مطلع الاسبوع القادم يجدر قصف عدة أهداف مختارة في ضواحي القاهرة. فقد آن الأوان لوضع حد للسلام المستديم مع مصر. ذلك لأن الجميع يعرف أن الطاغية المصري يقوم باعداد جيشه تحت غطاء «السلام» لهجمة تهدف الى تدمير اسرائيل.

بعد ذلك، في منتصف الاسبوع، نوصي قادتنا باغتيال عدد من أبناء عائلة الملك عبد الله الثاني، لأن الهدوء الكاذب على الحدود مع الاردن يدخل الجيش الاسرائيلي في حالة هدوء وكسل ويخفض جاهزيته، وتدرب سلاح الجو على عمليات الاغتيال من ناحية الشرق.

ومع حلول نهاية الاسبوع يجدر قصف قصر رئيس مكرونيزيا الرسمي، الذي يحب شعب اسرائيل، وهذا يتناقض مع ما جاء في توراتنا عن أننا شعب وحيد في هذه الارض.

قتل نصر الله! لماذا، هل هو قنبلة متكتكة؟ قتل كل المخربين! هل هم كلهم قنابل متكتكة؟ قتل كل الفلسطينيين! أم كل المسلمين المخربين!! يا حلوتس، هيا اضربهم بكل قوة وعنفوان !!!.

قتل كل من هم غير يهود!!!! كما جاء في التوراة، هيا يا بيرتس لتكن رجلا !!!!!.

أفضل شيء هو أن نقتل الجميع. من يؤيد ذلك؟ شكرا. من يعارض؟ شكرا. القرار اتُخذ.

(ملاحظة: لقد تبين بعد التحقق أن ما ورد سالفا لم يكن مجرد حديث في شبكة الانترنت، بل هو بروتوكول لجلسة المجلس الأمني المصغر، فعفوا على الخطأ).

كم هو جيد أن الاشخاص الأذكياء والشجعان في حكومة اسرائيل قد صرحوا مرارا وتكرارا أنهم لن يجروا المفاوضات أبدا ولن يطلقوا سراح سجناء مقابل جلعاد شليط، وأنهم لن يخضعوا للابتزاز. ذلك لأننا نعرف أن الصمود القوي وحده مع كل «لاءاته» الشهيرة هو الذي يضمن عدم اختطاف المزيد من الجنود. وهذه حقيقة ثابتة.

ب. ميخائيل
أديب يساري
(يديعوت) 2006/7/14

رغم ان قيام الجيش بالحرب على جبهتين في آن واحد صعب

عملية حزب الله لم تكن صدفة من حيث التوقيت ورد اسرائيل لم يكن ارتجاليا بل كان وفق خطة تفصيلية مُعدة سلفا

■ عائدون الى لبنان: بقعة زيت كريهة الرائحة تعلو من بقايا مركبة «هامر» التي كان حزب الله قد هاجمها صباح يوم الاربعاء الماضي، شمالي مستوطنة شتولا في الناقورة، حيث توجد تلك الاماكن الخلابة القريبة من بعضها البعض، والتي لا تختلف في منظرها عن تلك الصورة الجميلة في الريف السويسري.

هناك فقد ثلاثة من جنود الجيش الاسرائيلي حياتهم، اضافة الى اثنين آخرين هما الدرزيف وايهود غولدويس، أسرهما حزب الله في الجانب الآخر من خط الحدود، وطوال سبع ساعات من ذلك الهجوم لم يتمكن الجيش الاسرائيلي من الاقتراب من تلك النقطة.

الجنود الذين كانوا يراقبون مركبة الهامر المحترقة، ظلوا يراقبونها من بين الاشجار لساعات وهم يخشون من أن يذهبوا لفحص حالة جنودهم هناك، حيث كانت قذائف مدفعية الهاون التابعة لحزب الله تقصف تلك المنطقة وتمنع الوصول اليها. خسائر كبيرة خسرها الجيش في ساعة واحدة من يوم قتال واحد، واختطف اثنان من جنوده، وما تزال قوات حزب الله تحاصر الموقع وتمنع جنود الجيش من الاقتراب من هناك. هذا ما سبب الشعور بالخجل، فجيش كبير وقوي، دبابته محترقة، فيها بقايا جنوده، يقف لساعات طويلة لا يقوى على التقدم، هذا ما يُسمى بـ«قواعد لعبة جديدة» فرضتها هذه المنظمة الارهابية الشيعية على جيش الدفاع الاسرائيلي، مع أن هذا الجيش يملك سلاح جو يعتبر من بين الاقوى في العالم من حيث عظمته وحجمه بعد الولايات المتحدة. بكلمات مغسولة ومقبولة هناك، فقد أُطلق على سياسة «الإذلال» التي قبل بها الجيش الاسرائيلي طوال ست سنوات على حدوده مع لبنان، ومنذ الانسحاب من جنوبه اسم «السهولة» بدلا من الإقرار بأن ميزان القوى لحزب الله. ففي المنطقة التي عملت فيها قوات حزب الله لا يمكن له الادعاء بأنه عمل من المنطقة التي تستمر فيها بعض اعتداءاته على أنها مزارع شبعا التابعة للبنان، كما فعل في عملية الاختطاف السابقة التي نفذها قبل ست سنوات. في شهر تشرين الاول (اكتوبر) 2000. وكما هي حال الولايات المتحدة في ذلك الوقت، فان هجوم حزب الله لم يترك لاسرائيل أي مبرر إلا العمل من اجل «تغيير قواعد اللعب» هناك.

المشكلة هي أن الجيش الاسرائيلي لا يستطيع تنفيذ عملية «الأجر المناسب» ـ الهجوم الأكبر على لبنان منذ حرب سلامة الجليل في توقيت مناسب من ناحيتها. بل على العكس، فان التوقيت الذي لم يكن صدفة بالنسبة لحسن نصر الله، يفرض على اسرائيل فتح جبهة ثانية في الوقت الذي يغوص فيه الجيش الاسرائيلي في حرب قاسية في غزة، والتي ما زالت نهايتها غير واضحة وغير مفهومة. وكذلك في غزة، فان اسرائيل تحاول «تغيير القواعد العامة»، وحتى الآن هي لم تنجح. والقتال على جبهتين يعتبر تهديدا وشرذمة لكل جيش، ولا يمكن التعلل والأسف، بأنه في كل واحدة من العمليات التي يواجهها الجيش، فهو يواجه حزب الله في الشمال كما يواجه حماس في الجنوب، هو ليس إلا جيشا يواجه منظمات ارهاب في المنطقتين من خلال قدرات عسكرية محددة. وفي كلتا الحالتين، فقد نجحت هاتان المنظمتان باختطاف جنود وجر اسرائيل وجيشها داخل مناطق سكنية مأهولة على جانبي الحدود في المنطقتين.

على هذا، اذا كانت عملية «الأجر المناسب» مصنفة لدى الجيش الاسرائيلي في هذه المرحلة على أنها مجرد «عملية»، فان الأجواء العامة في القيادة العسكرية ليست إلا «أجواء حرب» بكل معنى الكلمة. رئيس هيئة الاركان، دان حلوتس، غاص الى أحد «المواقع المحصنة» في وزارة الدفاع، حيث يشاهد هناك على شاشات لا تُحصى كل ما يحدث في المنطقة من خلال الصور التي ترسلها الطائرات الصغيرة، والطائرات بدون طيار، والمراقبة الارضية. وعمليات دراسة الاوضاع وتحليل المعلومات تتم بصورة دورية ومتلاحقة من خلال كمية المعلومات التي تأتي من كل الاتجاهات وعلى ضوء التطورات، كما أن قادة الجبهات الاخرى المشاركين في هذه التحليلات وهذه المداولات، ولا سيما قادة الجبهات الجنوبية والشمالية، يشاركون على نحو تفصيلي في تحليل الوضع القتالي على الجبهتين. ومن خلال هذه الأجواء الحربية داخل ذلك الموقع المعين، فانك تسمع رئيس هيئة الاركان يقول «يمكن اعادة بيروت 20 سنة الى الوراء»، الى ما كانت عليه في ذروة الحرب الأهلية التي شهدتها، حيث كانت العاصمة اللبنانية مقطوعة تماما ومعزولة عن العالم.

ولمعرفة مدى جدية أجواء الحرب السائدة هناك، يمكن معرفة ذلك من خلال الاتفاق بين ايهود اولمرت وعمير بيرتس وتسيبي لفني على دعوة الوزراء الذين لهم خلفية أمنية (عسكرية) وخبرة أمنية من أمثال شاؤول موفاز وديختر للاشتراك في «المطبخ المصغر» الذي تشكل ليكون الجهة الرسمية المخولة في بلورة السياسة الأمنية واتخاذ القرارات العسكرية ـ السياسية في هذه الازمة، ولبلورة كل ما تحتاجه عملية «الأجر المناسب». معا تنقل موفاز مع بيرتس على الخرائط الكبيرة الكثيرة التي نُقلت الى مكتب رئيس الوزراء في وزارة الدفاع في تل ابيب في ساعة متأخرة من الليل، وفي ظروف غير هذه فان اجراء عملية أكثر تعقيدا من تلك التي نراها في غزة، وذلك من حيث التهديد المتوقع من غزة، ذلك التهديد المتوقع على المواطنين الاسرائيليين في العمق الاسرائيلي، والذي يأتي من الشمال. كمية الصواريخ التي توجد في أيدي حماس تعتبر صغيرة وقليلة نسبيا، وصواريخ القسام التي يُصنعونها في المخارط البدائية والتي تحتوي على مواد متفجرة من النوع الذي يمكن الاحتفاظ به على الرفوف لمدة ثلاثة اسابيع فقط، ومعدل الانتاج اليومي لا يزيد عن 20 صاروخا في أحسن الاحوال. هذا يعني أن حماس في أحسن قدراتها تستطيع انتاج وتخزين ما لا يزيد عن 400 صاروخ فقط.

وبعد أن أُطلقت عشرات الصواريخ في الآونة الأخيرة، وبعد أن أخذت طائرات سلاح الجو بقصف وتدمير هذه المخارط التي يُنتجون فيها الصواريخ، فان مخزونهم انخفض على نحو واضح، وهذا يُفسر تراجع كثافة اطلاق الصواريخ من غزة باتجاه مستوطنات وبلدات الجنوب في الاسبوع الأخير. وزيادة على ذلك، فان مدى صاروخ القسام، حتى ذلك الذي يضرب ويصيب عسقلان، لا يزيد على 12 كيلومترا، كما أن قوته التدميرية التي تُحدد بكمية المواد المتفجرة الموجودة في طرف الصاروخ، تعتبر محدودة ونسبية، فعدد المصابين جراء سقوط عشرات، وربما مئات الصواريخ، يعتبر صغيرا للغاية.

وفي مقابل ذلك، فان الصلية الاولى من صواريخ الكاتيوشا التي أطلقها حزب الله يوم أمس باتجاه مدينة نهاريا ردا على الهجمات الليلية التي شنتها طائرات سلاح الجو على مواقع لبنانية، بما فيها المطار الدولي في بيروت، قد تسببت صباح الخميس بأضرار بالغة، بما في ذلك مقتل سيدة في صباح نفس اليوم. ومدى الصواريخ التي بحوزة حزب الله تصل الى 75 كيلومترا، ويمكنها أن تغطي كثيرا من المناطق في العمق الاسرائيلي، بما في ذلك مدينة حيفا. وهنا لا نتحدث عن النوعية، بل ايضا عن الكميات، ولكي تصيب كميات كبيرة تتجاوز في عددها 13 ألف صاروخ مُخزن في مخازن تحت الارض، بُنيت خصيصا لهذه الغاية بعمل وجهد متواصلين لعدة سنوات، فان الجيش الاسرائيلي يحتاج على الأقل الى اسبوعين متواصلين ستلحق بالمواطنين الاسرائيليين في شمالي البلاد ضربات قوية وخسائر فادحة، وخلال الاسبوعين يمكن أن تطلق صواريخ باتجاه مصافي البترول في حيفا، مما يعني خسائر وأضرارا كبيرة، بما فيها أضرار بيئية ستنجم عن مثل هذه الضربات.

واذا ما تمكن حزب الله من اصابة مواقع في مدينة حيفا، فان لدى الجيش الاسرائيلي خططا يمكنه بواسطتها أن يتسبب للبنان بخسائر فادحة قد تُكلفه مليارات الدولارات، وذلك عن طريق تدميره لمحطات الطاقة الكهربائية التي سيحتاج لبنان الى شهرين على الأقل لاصلاحها، وهذا ما يقصده مصدر عسكري آخر رفيع المستوى بقوله «اذا اضطررنا، فاننا لن نُعيد لبنان 20 سنة الى الوراء، بل سنُعيده الى 50 سنة الى الوراء». وهذا كان تعقيبا على عبارة رئيس الاركان.

في الجبهة الداخلية، وخاصة في منطقة حيفا والخليج، أغلبية المنازل لا توجد فيها ملاجئ. وهذه واحدة من نقاط الضعف الأساسية في هذه العملية التي خرجت اسرائيل لتنفيذها الآن. كما أن سلوك وتصرف المواطنين سيكون أحد الأساسيات الحاسمة في تطور واستمرار القوات الاسرائيلية (وموافقة الحكومة) على الخطوات العملية التي تنفذها في اطار هذه العملية العسكرية، وخصوصا في منطقة حيفا، اضافة لمستوطنات الشمال. واسرائيل قد تدخل في مشكلة قاسية وصعبة جدا. وهذا ربما ما جعل قيادة الداخل في اسرائيل توجه نداءات وتوجيهات لسكان حيفا وجوارها في حالة هجوم صاروخي عليها (وذلك بحكم عدم وجود ملاجئ في منازل حيفا) بأن يقوم السكان في الدخول الى احدى الغرف الداخلية الواقعة في آخر البيت والابتعاد عن النوافذ بالقدر الممكن. أما الرسالة الموجهة الى السكان في الشمال، المُعرضين فعليا للخطر الكبير، فانها تضمنت تعليمات تدريجية توصلهم الى مرحلة دخول الملاجئ وعدم الخروج منها إلا وفقا للتعليمات.

ما بين غزة ولبنان

كما هو في غزة، فان احتمالية أن يكون باستطاعة العملية العسكرية (مهما كانت قسوتها) أن تتمكن وحدها من اعادة الجنود المختطفين سالمين الى بيوتهم، تعتبر ضئيلة. ولكن العملية حقا قد أُعدت، ولو على الورق، لكي تُغير اسرائيل قواعد اللعب، ولكي توجه ضربة قاسية لصواريخ حزب الله. وكذلك، فان الهدف الاضافي هو إجبار الحكومة اللبنانية على نزع سلاح حزب الله. وفي الجيش الاسرائيلي يعرفون جيدا بأنه يوجد فرق كبير وأساسي بين غزة ولبنان. ففي الوقت الذي تحظى فيه حماس بتأييد ودعم شعبي في الاوساط الفلسطينية، ففي لبنان نجد أن الاغلبية ليست معنية بحدوث هذه المواجهة مع اسرائيل، وهذه الجماهير التي لا ترغب في استمرار اعمال حزب الله، هي نفسها الجماهير التي تمكنت بفعالياتها من اخراج القوات السورية من لبنان، ولذلك فان لاسرائيل أملا بأن تكون نتيجة هذا الضغط الذي تمارسه أن تقوم جماهير لبنان بالضغط على حزب الله وتخلي عنه، وذلك لأن هذه المنظمة لا تحافظ إلا على المصالح الايرانية.

أما من ناحية عسكرية، فان سلسلة الهجمات (الجوية بالأساس) لم تكن عفوية أو أنها تأتي صدفة. فالحقيقة أنه كانت للجيش الاسرائيلي خطط وبرامج أعدها سلفا، وكانت مُعدة في الأدراج، كما يقال، وبانتظار أي تصعيد على الحدود الشمالية، والذي كان حسب خطط الجيش أمرا لا بد من وقوعه عاجلا أم آجلا. بل إن الجيش الاسرائيلي أجرى مناورات عديدة وتدرب على تنفيذ هذه الخطط قبل أكثر من شهرين. وهذا ما فسر على نحو «صورة ارجاعية» وجود قائد الوحدة المدرعة في القيادة الشمالية صباح يوم الاربعاء، باعتباره القائد المسؤول عن تنفيذ هذه الخطة، لكن قائد الجبهة الشمالية، الجنرال اوري آدم، الذي أشرف شخصيا على تلك الفرقة قرر في نهاية الأمر، وعلى مسؤوليته الخاصة، استدعاء فرقة احتياط. قادة هذه الفرقة كانوا قد استُدعوا صباح الاربعاء الماضي، الى اعادة تدريب، ويوم أمس تقرر تجنيد هذه الفرقة رسميا، ورغم كل الاوضاع، تقرر يوم الخميس البدء بارسال هذه الفرقة نحو الشمال، والفرقتان ستشكلان وحدة واحدة في القتال على الجبهة الشمالية كقوة برية مدرعة عند اللزوم، وهي الخطة التي ما زالت في هيئة الاركان في مراحل التخطيط الأولي، والجيش الاسرائيلي سيعرض هذه الخطط أمام الحكومة ويطلب الموافقة عليها كموافقة استثنائية لتنفيذ عملية برية اذا وُجدت ضرورة لذلك.

الانتقال الى العمليات البرية رُهن بمدى رد فعل حزب الله وضرباته. فكلما زادت الأهداف المدنية التي سيهاجمها حزب الله في العمق الاسرائيلي، فان هذه الخطة ستنفذ أسرع. حاليا، المراحل الاولى من عملية «الأجر المناسب» ما زالت جوية في معظمها. وتقريبا فقد تم تجنيد كل سلاح الجو لهذه العملية الحربية. ومئات الطائرات صعدت الى الجو وأخذت تشن غارات تدريجية منظمة ومرتبة، بدأت بطائرات قليلة وسارت على نحو تدريجي ـ تصعيدي، وهكذا ستسير. الهدف الاول في هذه المرحلة هو استمرار الغارات التدميرية التي تهدف الى تدمير العدد الأكبر من مواقع حزب الله وتدمير اماكن ومواقع صواريخه وبنيته التحتية على امتداد لبنان، ولكن هذه المرحلة شهدت ايضا تدميرا وتخريبا لجسور وأنفاق تربط المناطق اللبنانية بعضها ببعض وما بين الجنوب والشمال، وذلك لفصل وقطع مناطق اطلاق الصواريخ باتجاه اسرائيل.

ان الهدف من وراء مهاجمة مطار بيروت الدولي لم يكن فقط من اجل دفع لبنان ثمنا لما يحدث، بل لمنع قطارات جوية تبدأ بتدفق الاسلحة على لبنان وخصوصا صواريخ من ايران خلال الفترة القادمة. وفي النهاية بذل جهود لاصابة قواعد اطلاق صواريخ «فجر 3» و«فجر 5» التي يصل مداها الى 40 ـ 75 كيلومترا، والتي تسبب الخطر الأساسي الاول الذي يهدد به حزب الله اسرائيل. وكذلك، فان اسرائيل قامت بفرض حصار بحري على لبنان، وفي نهاية الأمر قررت اسرائيل مهاجمة بعض الأهداف في الضاحية الجنوبية من بيروت، حيث توجد مكاتب ومقرات قيادة حزب الله واماكن سكن قادة هذا التنظيم. وقد قامت اسرائيل بنقل إنذار مسبق الى لبنان لتقوم باخلاء سكان من الضاحية الجنوبية في بيروت.

حتى صباح الخميس، قامت اسرائيل بتدمير جميع الجسور الموجودة بين بيروت وبين رأس الناقورة حسب «بنك الأهداف» المُعد سلفا في القيادة العسكرية. وقد تم اقتسام هذه الأهداف بين أسراب الطائرات التي أقلعت من قواعد سلاح الجو في أرجاء البلاد واحدا بعد الآخر. وأن مهاجمة قواعد اطلاق صواريخ «فجر» التي نُفذت على أمل إبعاد الخطر الذي يهدد به حزب الله حيفا والهجمات الصاروخية بعيدة المدى، هذه الهجمات تم تنفيذها في المرحلة الاولى من الغارات. حتى صباح يوم أمس تمت مهاجمة نحو 40 قاعدة لاطلاق صواريخ بعيدة المدى من هذا النوع، والتي كانت مخبأة في مواقع في جنوب لبنان وداخل بيوت سكنية، وقام الجيش الاسرائيلي «ببساطة» بتدمير تلك البيوت. وبعد ذلك جرى تحليل للصور ما بعد الهجوم، وتبين أن جزءا لا يُستهان به من قواعد الاطلاق قد لحق بها ضرر كبير. وقتل ايضا في الهجمات ما لا يقل عن 30 عنصرا من حزب الله. وللتفريق بين هذه العملية التي استهدفت مهاجمة قواعد اطلاق صوا